المرأة ينبوع الخير والهدى

دفعتني رواية مقدسة وردت على لسان الإمام جعفر الصادق (ع) أن أعود فالتقي بالقارئة الكريمة.

وكنت اتفاءل أيضاً بانك سوف تُشبعين فضولي بما سوف تجودين به من انتاج أدب إسلامي تتبين فيه كفاءتك في هذا الميدان، ولكنني ومع الأسف لم ازدد إلا فضولاً، ولم اكتسب إلا حسرة وألماً، فكلما قلبت صفحات وطالعت وريقات افتقدت صوتك بين الأصوات، ولم أكد أحس مكانك في مفترق التيارات. ولست أدري وأيم الحق ما الذي حدا بلبوات الإسلام إلى هذا السكوت المشين والعي أعيذهن منه؟! التجاهل بعمق رسالتهنّ في الحياة، أو الجهل بخصوصيات إسلامهنّ لا قدر الله؟ أو لدواع آخر يمليها عليهنّ مجتمع فاسد في افراطه أو تفريطه؟ هذا المجتمع الذي ندعو إلى إصلاحه اصلاحاً جذرياً كي لا يكمم أفواه النساء باكمام التحلل الأجنبي أو التعنت الجاهلي، والله ولي التوفيق. والآن وبعد أن استميحك العذر ان كنت قد اسأت إلى مشاعرك العزيزة فما أنا إلا أختك الناصحة التي تأبى أن تكون دائماً على هامش الحياة مدعوة وليست بداعية، أعود الآن إلى الرواية التي جاءت على لسان الإمام العظيم أبي عبد الله الصادق إذ يحدد فيها مفهومه عن المرأة الصالحة فيقو:(لالمرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح). فلا الرجل بما هو رجل يَفْضل المرأة، ولا المرأة بما هي امرأة تَفْضل الرجل

في حساب الإنسانية العامة، بل قد تكون المرأة الواحدة خيراً من ألف رجل إذا كانت صالحة، ولا يتعارض هذا مع الوظائف التي وزعت الرجل والمرأة في الأسرة الإسلامية، ولا مع القيمومة التي اعطيت للرجل على المرأة فيها. وهو يقصد بها ان يقرر بأنّ الإنسانية في نظر الإسلام لها قيمة واحدة وميزان واحد، بقطع النظر عن كل الصفات الطبيعية التي يتميز بها الأفراد، وهذا الميزان الوحيد في نظر الإسلام هو الصلاح والتقوى، فمهما كانا متوافرين كانت الإنسانية أفضل وأكمل، ومهما ابتعد عنهما خسر بذلك كرامته في مفهوم الإسلام كائناً من كان. فلا الرجل بما هو رجل يَفْضل المرأة، ولا المرأة بما هي امرأة تَفْضل الرجل في حساب الإنسانية العامة، بل قد تكون المرأة الواحدة خيراً من ألف رجل إذا كانت صالحة، ولا يتعارض هذا مع الوظائف التي وزعت على الرجل والمرأة في الأسرة الإسلامية، ولا مع القيمومة التي أعطيت للرجل على المرأة فيها. فإنّ هذه القيمومة التي اضطلع الرجل بموجبها بإدارة البيت والحفاظ على وحدته لا تعبر إلا عن توزيع طبيعي للوظائف في مجتمع صغير وهو الأسرة المتكونة من أب يعيل ويحافظ، وأم تلد وتربي، فهي ليست قيمومة أفضلية، وإلا لكان كل رجل قيماً على المرأة التي يعايشها وأن كانت أُمّه أو أخته وليس الأمر كذلك. هذا بعض ما عناه الإمام في قوله: (المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح). والصلاح هنا معنى عام يمتد إلى كثير من النواحي والمجالات. وصلاح المرأة لبيتها أن تشيع روح الاستقرار والسعادة، وتكفل أولادها إذا كان لها أولاد – كفالة تتيح لها اكتساب الشخصية الإسلامية الحقيقية، وتبث في نفوسهم بذور الورع والتقوى والأدب. وصلاحها للإنسانية أن تساهم في الحقول النافعة التي لا تتعارض مع وظائفها الأولية، وأهم تلك الحقول هو تبني الدعوة إلى أشرف مبدأ عرفته الإنسانية ألا وهو الإسلام. فإلى هذا الصلاح يا أخواتي المسلمات! إلى الصلاح والإصلاح في مختلف الميادين والمجالات، لتكون الواحدة منكن خيراً من ألف رجل غير صالح، وألف امرأة غير صالحة، والسلام عليكن وعلى من اتبع الهدى. المصدر: مجلة الرياحين العدد 36/ السنة 1431هـ